ñ A

ß é

STARTER STORY · ARABIC · B2

الخَطّاطُ وتِلميذُه

oqou

الخَطّاطُ وتِلميذُه

في زُقاقٍ ضَيِّقٍ مِن أزِقّةِ المَدينةِ القَديمة، كانَ لِلخَطّاطِ أبي سالِمٍ دُكّانٌ صَغيرٌ تَفوحُ مِنهُ رائِحةُ الحِبرِ والوَرَقِ العَتيق. كانَ النّاسُ يَقصِدونَهُ مِن الأحياءِ البَعيدةِ كُلَّما احتاجوا إلى لافِتةٍ تَليقُ بِمَحَلٍّ جَديدٍ أو عِبارةٍ تُعَلَّقُ في صَدرِ بَيت. وكانَ يُقالُ في السّوقِ إنَّ حُروفَهُ تُشبِهُ الماءَ الجاري: تَنسابُ ولا تَنكَسِر.

أمّا زِياد، تِلميذُهُ الوَحيد، فَكانَ شابّاً ذَكِيّاً تَعَلَّمَ أساسِيّاتِ الخَطِّ بِسُرعةٍ أدهَشَتِ الجَميع. غَيرَ أنَّ السُّرعةَ الَّتي كانَتْ مَصدَرَ فَخرِهِ كانَتْ أيضاً مَصدَرَ قَلَقِ مُعَلِّمِه. كانَ أبو سالِمٍ يَقولُ لَهُ: «الحَرفُ يا زِياد كَالشَّجَرة، لا يَستَوي قَبلَ أوانِه.»

كانَ زِياد يَضجَرُ مِن تَمريناتِ النُّقطةِ والألِفِ الَّتي يُعيدُها مِئاتِ المَرّات. وذاتَ مَساءٍ قالَ لِمُعَلِّمِهِ وهُوَ يُشيرُ إلى حاسوبِهِ الصَّغير: «في هذا الجِهازِ ألفُ خَطٍّ جاهِز. لِماذا نَتعَبُ شُهوراً في ما يُنجِزُهُ الجِهازُ في ثانِية؟» ابتَسَمَ أبو سالِمٍ ولَم يُجِبْ.

في ذلِكَ الخَريف، بَدَأ أبو سالِمٍ يُلاحِظُ أنَّ السُّطورَ تَهتَزُّ أمامَ عَينَيهِ حينَ يَعمَلُ في ضَوءِ المَساء. أخفى الأمرَ عَن تِلميذِهِ أوَّلَ الأمر، لكِنَّ يَدَهُ الَّتي كانَتْ لا تُخطِئُ بَدَأَتْ تَخونُهُ في التَّفاصيلِ الدَّقيقة. كانَ يَمسَحُ الحَرفَ ويُعيدُهُ، ثُمَّ يَجلِسُ صامِتاً أمامَ الوَرَقةِ كَمَن يَستَمِعُ إلى خَبَرٍ سَيِّئ.

وفي أوَّلِ الشِّتاء، جاءَهُ خَبَرُ انتَظَرَهُ عُمرَهُ كُلَّه: قَرَّرَتِ البَلَدِيّةُ تَرميمَ المَكتَبةِ العامّةِ القَديمة، وطَلَبَتْ مِن أبي سالِمٍ أن يَكتُبَ بِيَدِهِ اللَّوحةَ الَّتي سَتُعَلَّقُ فَوقَ مَدخَلِها. كانَتْ تِلكَ المَكتَبةُ أوَّلَ مَكانٍ رَأى فيهِ، وهُوَ طِفلٌ صَغير، حَرفاً مَكتوباً بِماءِ الذَّهَب.

تَرَدَّدَ أبو سالِمٍ لِأوَّلِ مَرّةٍ في حَياتِه. قالَ لِزِياد بِصَوتٍ خَفيض: «عَيني لَم تَعُدْ عَيني، ويَدي لَم تَعُدْ يَدي. رُبَّما كانَ الأجدَرَ أن يَكتُبَها غَيري.» فَقالَ زِياد، الَّذي لَم يَرَ مُعَلِّمَهُ ضَعيفاً مِن قَبل: «إن لَم تَكتُبْها أنتَ، فَسَتَكتُبُها آلَةٌ لا تَعرِفُ لِماذا بُنِيَتِ المَكتَبة.»

عَمِلا مَعاً أُسبوعَينِ كامِلَين. كانَ زِياد يُحَضِّرُ الوَرَقَ ويَخلِطُ الحِبرَ ويُقَرِّبُ المِصباح، وكانَ أبو سالِمٍ يَكتُبُ في ساعاتِ الصَّباحِ الأولى، حينَ يَكونُ الضَّوءُ صافِياً وعَيناهُ في أحسَنِ حالِهِما. مَزَّقا عَشَراتِ المُسَوَّدات، حَتّى امتَلَأَتْ زاوِيةُ الدُّكّانِ بِكُراتٍ مِن الوَرَق.

وفي فَجرِ يَومِ الجُمعة، كَتَبَ أبو سالِمٍ اللَّوحةَ الأخيرة. كانَتِ الحُروفُ تَنسابُ كَعادَتِها، مُطمَئِنَّةً واثِقة، حَتّى وَصَلَ إلى الحَرفِ الأخير. عِندَها ارتَجَفَتْ يَدُهُ رَجفةً خَفيفة، فَمالَ ذَيلُ الحَرفِ قَليلاً عَن مَسارِهِ المَرسوم.

رَمى أبو سالِمٍ القَلَمَ وأغمَضَ عَينَيه. قالَ: «انتَهى الأمر. سَنُعيدُها غَداً.» لكِنَّ الوَرَقَ المُجَهَّزَ نَفِدَ، وكانَ مَوعِدُ التَّسليمِ صَباحَ ذلِكَ اليَوم. نَظَرَ زِياد إلى اللَّوحةِ طَويلاً، ثُمَّ قالَ شَيئاً لَم يَتَوَقَّعْهُ أحَد: «أنا لا أراها غَلطة.»

قالَ أبو سالِمٍ بِمَرارة: «تَقولُ هذا لِتُواسِيَني.» فَأجابَ زِياد: «بَل أقولُهُ لِأنَّ الحَرفَ الأخيرَ يُشبِهُكَ أكثَرَ مِن كُلِّ ما كَتَبتَ. فيهِ تَعَبُ السَّنَواتِ كُلِّها.» لَم يَقتَنِعِ المُعَلِّمُ، لكِنَّ الوَقتَ لَم يَترُكْ لَهُما خِياراً آخَر، فَحُمِلَتِ اللَّوحةُ إلى المَكتَبةِ كَما هي.

في حَفلِ الافتِتاح، وَقَفَ أبو سالِمٍ في آخِرِ الجُمهورِ مُطأطِئَ الرَّأس، يَنتَظِرُ أن يُشيرَ أحَدُهُم إلى العَيبِ الَّذي لا يَراهُ سِواه. جاءَ المُصَوِّرونَ والمَسؤولونَ، ورُفِعَتِ السِّتارةُ عَن اللَّوحة، وصَفَّقَ النّاسُ طَويلاً.

ثُمَّ حَدَثَ ما لَم يَخطُرْ لَهُ على بال. اقتَرَبَتْ سَيِّدةٌ عَجوزٌ مِن اللَّوحةِ وقالَتْ لِمَن حَولَها: «انظُروا إلى الحَرفِ الأخير، كَيفَ يَنحَني قَليلاً. إنَّهُ يُشبِهُ القارِئَ حينَ يَميلُ على كِتابِه.» وتَناقَلَ الحاضِرونَ العِبارةَ مُعجَبين، حَتّى كَتَبَتْها صَحيفةُ المَدينةِ في اليَومِ التّالي.

عادَ أبو سالِمٍ إلى دُكّانِهِ ذلِكَ المَساءَ صامِتاً. جَلَسَ أمامَ طاوِلَتِهِ ونَظَرَ إلى يَدِهِ الَّتي خانَتهُ وأكرَمَتهُ في اللَّحظةِ نَفسِها. ثُمَّ ضَحِكَ ضِحكةً قَصيرةً وقالَ: «عَجيبٌ أمرُ النّاس. أعطَيتُهُمُ الكَمالَ أربَعينَ سَنةً فَما التَفَتوا، فَلَمّا أعطَتهُم يَدي رَجفةً واحِدةً قالوا: هذا فَنّ.»

مُنذُ ذلِكَ اليَوم، تَغَيَّرَ شَيءٌ في زِياد. صارَ يَصِلُ إلى الدُّكّانِ قَبلَ مُعَلِّمِه، ويُعيدُ تَمرينَ الأَلِفِ مِئَةَ مَرّةٍ دونَ ضَجَر. وحينَ سَأَلَهُ صَديقٌ عَن سِرِّ هذا الصَّبرِ المُفاجِئ، أجابَ: «فَهِمتُ أخيراً أنَّ الجِهازَ يَرسُمُ الحَرفَ، أمّا اليَدُ فَتَروي حِكايَتَه.»

في الرَّبيعِ التّالي، ضَعُفَ بَصَرُ أبي سالِمٍ حَتّى ما عادَ يُمسِكُ القَلَمَ إلّا قَليلاً. فَجَمَعَ أقلامَهُ القَديمةَ في صُندوقٍ خَشَبِيٍّ صَغير، ووَضَعَهُ بَينَ يَدَي زِياد. قالَ: «كُنتُ أنتَظِرُ أن تَتَعَلَّمَ البُطءَ لِأُعطِيَكَ إيّاها. فَالقَلَمُ لا يُوَرَّثُ لِمَن يَستَعجِل.»

حاوَلَ زِياد أن يَرفُضَ الهَدِيّةَ، فَقالَ لَهُ مُعَلِّمُهُ: «لا تَحزَنْ عَلَيّ. الخَطّاطُ الحَقيقِيُّ يَكتُبُ سَطرَهُ الأخيرَ في تَلاميذِه.» ثُمَّ أشارَ إلى اللَّوحةِ المُعَلَّقةِ فَوقَ بابِ الدُّكّانِ وأضافَ ضاحِكاً: «واحرِصْ على أن تَرتَجِفَ يَدُكَ مَرّةً واحِدةً في العُمر، في المَوضِعِ الصَّحيح.»

بَقِيَ الدُّكّانُ الصَّغيرُ في مَكانِهِ حَتّى اليَوم، وعلى بابِهِ لافِتةٌ جَديدةٌ بِخَطِّ زِياد. ومَن يَتَأمَّلِ الحَرفَ الأخيرَ فيها يَجِدْ في ذَيلِهِ مَيلاً خَفيفاً مَقصوداً: يَحسَبُهُ الغَريبُ خَطَأً صَغيراً، ويَعرِفُ أهلُ الزُّقاقِ أنَّهُ تَحِيّةُ تِلميذٍ وَفِيٍّ لِيَدٍ عَلَّمَتهُ أنَّ الجَمالَ يَسكُنُ أحياناً في الرَّجفة.

OQOU STARTER LIBRARY

This story is from oqou's free starter library, graded at B2 for Arabic readers.

Read it interactively in the oqou app: tap any word for an instant translation, listen with natural narration, and carry your saved vocabulary into every story you read next.

oqou.app

Download oqou on the App Store

oqou